متضمنات القول في الأمثال العربية القديمة كتاب جمهرة الأمثال (للعسكري نموذجا، دراسة تداولية)

د. نعيمة عبدالسلام محمد الرمالي

كلية الآداب واللغات، جامعة طرابلس

naimaalrmali@gmail.com

https://orcid.org/-00090007-2330-1788

تاريخ الارسال 2026/8/26 تاريخ القبول 2026/9/2

المستخلص :

تشكل الأمثال مجالاً معرفياً ذا قيمة عالية، وهي تعد مستودعاً للخبرات الحياتية المتراكمة للأجيال السابقة، فقد قام الآباء والأجداد بصياغة تجاربهم في أنماط وتراكيب لغوية مكثفة والتي تتميز بالبساطة في التعبير، والجمال في الأسلوب. وعلى الرغم من إيجازها، فإنها غنية بالمعلومات والقيم الاجتماعية التي تتطلب تحليلاً عميقاً لإدراك كامل مضامينها، وتأتي هذه الدراسة في سياق محاولة للكشف عن هذه المضامين التي تحملها الأمثال، وذلك من خلال توظيف الآليات التداولية في تحليل الخطاب اللغوي (المثل)، ويهدف هذا البحث لاستكشاف المعاني الكامنة والدلالات غير المباشرة التي تحملها الأمثال.

الكلمات المفتاحية: متضمنات القول، الأمثال العربية، جمهرة الأمثال، الافتراض المسبق.

"Speech Extracts in Ancient Arabic Proverbs: *Al-Jumhara* by Al-Askari as a Model — A Pragmatic Study"

Abstract:

Proverbs constitute a highly valuable field of knowledge and serve as a repository of the accumulated life experiences of previous generations. Fathers and ancestors formulated their experiences in concise linguistic

forms characterized by simplicity of expression and elegance of style. Despite their brevity, proverbs are rich in information and social values that require in-depth analysis to fully understand their meanings and implications.

This study seeks to uncover the meanings embedded in proverbs through the application of pragmatic approaches to the analysis of linguistic discourse (the proverb). The research aims to explore the underlying meanings and indirect implications conveyed by these proverbs.

المقدمة

يمثل المثل العربي أحد أبرز أنماط الخطاب الذي يقوم على الايجاز وكثافة الدلالة، إذ لا تتوقف دلالته عند حدود المعنى الذي تؤديه ألفاظه في ظاهره ، وإنما تتجاوز ذلك إلى معان يستخلصها المتلقي من السياق والمقام والقرائن المصاحبة للقول. ومن ثمَّ فإن المثل لا يؤدي وظيفة إخبارية فحسب، بل يمكن أن يؤدي وظائف تواصلية متعددة، كالنصح والتحذير واللوم والنقد والاقناع والتقويم، من خلال التعبير غير المباشر عن المقصود.

وذكروا مناسباتها **وقد أولى** علماء العربية القدماء عناية كبيرة بالأمثال، وفسروا ألفاظها وقصصها، ومن أبرز هذه المصنفات كتاب **جمهرة الأمثال** لأبي هلال العسكري، الذي يمثل مصدرا مهما في دراسة المثل العربي؛ لما يشتمل عليه من مادة مثلية واسعة، وما يورده في عدد من المواضع من أخبار ووقائع تفسر مناسبة المثل وتوضح المقام الذي قيل فيه. وتتيح هذه المادة إمكانية النظر إلى المثل لا

باعتباره تركيبا لغويا ثابتا فحسب، وإنما باعتباره قولا مرتبطا بحدث تواصلي وبأطراف ومقاصد وسياقات معينة.

ومن هنا تكتسب المقاربة التداولية أهميتها في دراسة الأمثال؛ لأنها تنظر إلى اللغة من حيث استعمالها في سياق التواصل، وتهتم بما يتجاوز المعنى الصريح إلى ما يستنتجه المتلقي من مقاصد ومعان غير منطوق بها مباشرة. ويعد الاستلزام الحواري من المفاهيم المركزية في هذا المجال ،إذ يرتبط بالمعنى الذي لا يصرح به المتكلم صراحة ، وإنما يستنتجه المتلقي اعتمادا على السياق ومبدأ التعاون والقرائن المتاحة في المقام. وقد أثبتت الدراسات التطبيقية الحديثة إمكان الافادة من نموذج بول غرايس في تحليل المعاني الضمنية في الخطاب العربي، مع ضرورة مراعاة الخصائص السياقية والثقافية للغة العربية.

وانطلاقا من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن متضمنات القول في مجموعة من الأمثال الواردة في جمهرة الأمثال، وذلك من خلال تحليل العلاقة بين المعني الصريح والمعنى الضمني، والبحث في القرائن التي تساعد المتلقي على استنتاج المقصود، فضلا عن تحديد الوظائف التواصلية التي يؤديها هذا المعنى في سياق استعمال المثل وتنبع أهمية الدراسة من كونها تحاول الافادة من أدوات التحليل التداولي في قراءة مادة التراث العربي، والكشف عن جانب من الطاقة التواصلية الكامنة في الأمثال، ولا سيما قدرتها على التعبير عن المواقف والأحكام والقيم بطريقة غير مباشرة ومكثفة.

أهمية البحث: تتجلى أهمية البحث في الجمع بين المادة التراثية العربية والمقاربة التداولية الحديثة، وفي محاولة الكشف عن جانب من الدلالة التي لا تظهر في البنية اللفظية للمثل بصورة مباشرة، وإنما تتولد من تفاعل القول مع السياق والقصد والمعرفة المشتركة. كما تسهم الدراسة في إبراز قدرة الأمثال العربية على أداء وظائف تواصلية، وليس مجرد نقل الحكمة أو التجربة.

منهج البحث وحدوده: اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، وذلك بوصف الظاهرة المدروسة وتحليل نماذج في ضوء المفاهيم التداولية ذات الصلة. واقتصرت المادة التطبيقية على عينة قصدية من الأمثال الواردة في الجمهرة

للعسكري، وقد اختيرت لكونها تتيح رصد العلاقة بين الملفوظ وسياقه، سواء أورد العسكري مناسبة المثل وقصته أم أشار إلى معناه بصورة مباشرة.

ولا يهدف البحث إلى استقصاء جميع الأمثال الواردة في الكتاب، وإنما إلى تحليل نماذج مختارة تكشف تنوع طرائق إنتاج المعنى الضمني ووظائفه التداولية.

أما خطة البحث فقد قسمته على مبحثين: المبحث الأول؛ الاسس النظرية لمتضمنات القول وبعض المفاهيم والتعريفات لمصطلحات تداولية استخدمت في أثناء التحليل؛ والمبحث الثاني خصصته لتحليل نماذج من الأمثال لإظهار المعاني الخفية التي يتضمنها القول ،وختمته بما توصلت إليه من نتائج.

أهداف البحث:

ـــ التعريف بكتاب جمهرة الأمثال.

- بيان مفهوم التداولية ومتضمنات القول.
- تحليل مجموعة من الأمثال تحليلاً تداولياً.
- الكشف عن العلاقة بين السياق والمعنى الضمني.

المبحث الأول: الأسس النظرية لمتضمنات القول وأهم مرتكزاتها.-

- متضمنات القول, الأقوال الضمنية: Inexplicit sayings

يحتوي خطابنا عادي على جانبين: جانب تصريحي يُعرف من المظهر المرئي للملفوظات، والجانب الآخر يُعرف بالجانب الضمني، ويُفهم هذا الجانب من خلال الاستنتاج من المظهر الحرفي، ومثال للجانب أو المظهر الضمني قولنا: (أقلع فلان عن التدخين) فنستنتج ضمناً أنه كان يدخن، وهذا أحد ما يُعرف بمتضمنات القول.

ويُعرّف مفهوم متضمنات القول بأنه: "مفهوم إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب خفية وضمنية من قوانين الخطاب تحكمها ظروف الخطاب العامة وسياق الحال وغيره " (صحراوي، 2005م: 30)

وينبغي أن نشير في هذا المقام قبل الدخول في تفصيل الافتراض المسبق والقول المضمر إلى بيان الفرق بين الافتراض المسبق والاستلزام ؛ فالأول: "شيء

يفترضه المتكلم يسبق التفوّه بالكلام أي أن الافتراض المسبق موجود عند المتكلم، وليس في الجمل، أما الاستلزام فهو شيء ينبع منطقياً مما قيل في الكلام أي أن الجمل هي التي تحوي الاستلزام وليس المتكلمين" (جورج بول، 2010: 51)

س/ قد نتسأل ما علاقة متضمنات القول بالافتراض المسبق والاستلزام الحواري؟

ومن أهم متضمنات القول:

أولاً/ الافتراض المسبق: presupposition

وهو مصطلح وضعه الألماني غوتلوب فريغة Gottlob Frege، وأشار إليه مسعود صحراوي (صحراوي،2005، 30)، وقد أطلق عليه طه عبد الرحمن "الاضمارات التداولية" وعرّفها بقوله: "هي عبارة عن الاضمارات التي يكون الأصل فيها مقامات الكلام وسياقاته من حيث مناسبتها له" (طه عبد الرحمن، 1998: 114). ولا تنطلق عملية التواصل إلا بوجود متكلمين شركاء في المعطيات والافتراضات معترف بها والمتفق عليها فيما بينهم، وأن تشكل تلك المعطيات قاعدة أو خلفية تواصلية ضرورية لاكتمال عملية التواصل دون لبس وغموض.

كما يضع (أوزفالد ديكرو) Oswald Ducrot الافتراض المسبق في فئة القول الفاعل بأنه "الفعل الذي يفرض المتحدث من خلاله على المتلقي عالماً من الخطاب" (جان سيرفوني، 1998: 75)، لأنه يرى أن اللغة ذات طابع حجاجي فالألفاظ والتراكيب لا تنقل المعنى فقط، بل توجه المتلقي نحو نتائج ووجهات نظر مختلفة .

ويعرّفه (جان سيرفوني) بقوله: "هو إحدى الوسائل التي تقدّمها اللغة من أجل الاستجابة للحاجة المستمرة التي يشعر بها المتحدثون في عدد كبير من المواقف، وهي وسيلة للقول وعدم القول" (جان سيرفوني،1998: 111).

ويرتكز الافتراض المسبق على ثلاثة جوانب هي:

الجانب الأول: أن الأصل في الافتراض المسبق مقامات الكلام وسياقاته؛ لأنها تشكل خلفية ضمنية تواصلية ضرورية لتحقيق تواصل ناجح، ومن خلال هذه الأصول تعرف القصد من عملية التخاطب انطلاقا من المعنى المباشر إلى المعنى

الضمني الذي يفرضه الافتراض المسبق، وقد أشار إلى هذا الجانب الدكتور طه عبد الرحمن، كما أنه يفرق بين نوعين من الإضمارات الدلالية والتداولية فيقول: "الاضمارات التداولية؛ وهي الإضمارات التي يكون الأصل فيها مقامات الكلام وسياقه من حيث مناسبته لها، و الإضمارات الدلالية وهي عبارة عن الإضمارات التي يكون الأصل فيها هو مجرد البنية الدلالية للقول" (طه عبد الرحمن، 1998: 113-114).

الجانب الثاني: يفرض المرسل أو المتكلم على المتلقي حدود هذا التواصل الخطابي الذي يجري بينهم متضمناً للافتراض المسبق.

الجانب الثالث: يتطلب الافتراض المسبق من أرضية مشتركة بين المرسل والمتلقي أثناء الخطاب تقتضي معطيات معترف بها بين أطراف التواصل، ويسمى هذا بالمبدأ الأساسي (ينظر جليان بروان وجورج بول، 1997: 37)

ويمكن أن نشير إلى أمثلة توضيحية للافتراض المسبق:

المثال الأول: 1- أغلق الباب / 2- لا تغلق الباب

حسب تحليل مسعود الصحراوي فإنه في الملفوظين أو التركيبين خلفية - افتراض مسبق - مضمونهما أن الباب مفتوح في الحالتين.

- **المثال الثاني:**

كإنّ يقول معلم مادة النحو لطلابه: (اخرجوا الكتاب)، فإن المعرفة المشتركة بين الطرفين المعلم والطلاب تدل على أن الكتاب المراد هو كتاب النحو، وليس كتاباً آخراً، فالمعلم بعبارته اعتمد على الافتراض المسبق، القائم على الخلفية المعرفية أو المعرفة المشتركة بينه وبين طلابه، ومن ثم لم يحدد نوع الكتاب اعتماداً على تلك المعرفة، فإذا كانت الخلفية التواصلية أو المعرفية بين الطرفين غير موجودة، فإن الطرف الثاني -الطلاب- لا يستجيب لطلب الأول – المعلم -.

ومثال، قولك لصديقك: هل نجحت؟ يفترض أن يكون قد دخل الامتحان.

ويمكن القول إن الافتراضات المسبقة يمكن معرفتها من الخطاب نفسه لأنها تتضمنه، وهذه المعرفة للافتراض المسبق لا يجد المتلقي أي صعوبة في إدراكها.

أما عند (بول غرايس) فإن متضمنات القول تدخل ضمن نظرية الاستلزام الحواري Conversational Implicature، وهي معاني التي لا يصرح بها المتكلم، ولكن يستنتجها السامع اعتماداً على مبدأ التعاون والسياق. (ينظر عشير، 2006: 47)

إذاً متضمن القول هو الإجراء الفعلي وفهم السامع للقول، تحت مظلة نظرية الاستلزام الحواري، وكليهما قائمين على آليات التعاون المشترك بين المخاطبين.

والاستلزام الحواري (Conversational Implicature) مفهوم قدّمه اللغوي (بول غرايس)، وهو من أبرز الظواهر التي تميز اللغة؛ ويقوم على نقطة جوهرية وهي: أن بعض كلمات اللغة تتضمن معنيين:

معنى ظاهري غير مقصود، ومعنى ضمني مقصود (ينظر صحراوي، 2005: 33).

ولتوضيح ذلك نورد المثال التالي بين مرسل ومُرسل إليه: **المرسل:** هل تريد فنجاناً من القهوة؟

المرسل إليه: سأنام مبكراً.

نلاحظ أن الإجابة يُفترض أن تكون بنعم أو لا؛ لأنه استفهام بـ "هل"، لكن المرسل إليه أجاب بجواب يحمل معنيين أحدهما ظاهر غير مقصود له وظيفة إخبارية ،وهو النوم مبكراً، والآخر ضمني هو المقصود ؛ وهو لن أشرب القهوة، والمرسل فهم الرسالة من خلال السياق المعرفي لديه بأن القهوة تسبب السهر، فالاستلزام الحواري يرتكز على مبدأ يسمى بمبدأ "التعاون"، ومضمونه أن هناك تعاوناً بين المرسل والمرسل إليه لفهم الرسالة التبليغية حسب نظرية غرايس (ينظر صحراوي، 2005: 33-35).

ثانياً: الأقوال المضمرة أو الضمنية، Inexplicit sayingsهي الجانب الثاني من متضمنات القول، ترتبط بوضعية الخطاب ومقامه. كما تؤكد (كاترين أوركيوني) بأن "القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحدث" (صحراوي، 2005: 32). فالتجربة الانسانية تجعل من الأفراد يختزنون مضامين المعلومات خلال تعرضهم في ممارساتهم وتفاعلاتهم إلى عدد لا يحصى من التجارب، فكل تجربة تترك بصمة في ذاكرة الفرد وتعيش في النفس، ولهذا يسهل عليه استنتاج المضامين من الأقوال والأفعال.

إذا الفرق بيِّن بين متضمنات القول والافتراض المسبق، فالأول وليد السياق الكلامي، والثاني وليد ملابسات الخطاب، ومن ملابسات الموقف الخطابي الواقع الذي عليه المتحدثون كطريقة الجلوس وما تحمله من دلالات، وقرائن الحال، والمكان والزمان الذي حدث فيه الخطاب والأحداث التي هي موضوع الخطاب والعلاقة بين المتخاطبين. والأمثال هي جزء لا يتجزأ من الخطاب كما أن الأمثال وليدة السياق الكلامي لها ملابساتها ودلالاتها الخاصة في زمان ومكان المتخاطبين وحالاتهم.

مثل: "الصيف ضيعتِ اللّبن" (العسكري، 2005: 1/ 488) سياق المثل في جمهرة الأمثال يروي أبو هلال العسكري أن امرأة رفضت زوجها فتركته فطلقها، فلما افتقرت وعادت تطلب الرجوع إليه قال لها: (الصيف ضيعتِ اللّبن)، أي إنك أضعتِ الفرصة حين كانت متاحة، فلا ينفع الندم بعد فوات الأوان، وهذا المعنى متضمن القول، بطبيعة الحال لا يقصد المعنى الحرفي بأن المرأة أضاعت اللبن في فصل الصيف، (المعنى الحرفي) بل أضاعت الفرصة المناسبة وهذا هو القول الضمني وإن لم يصرح به لفظاً.

وإنما استنبطه المخاطب من السياق، ووفق تحليل غرايس نمط المتكلم لم يلتزم بالمعنى الحرفي للقول، بل اعتمد على المعرفة والمعلومات المشتركة بين المتكلم والسامع. وهذا النمط من ضمن متضمنات الندم.

نأخذ مثالاً آخر توضح به عمل الأقوال المضمرة وهو قول شخص لصديق له عن رجل: "إن ذلك الرجل لا أحبه"، فإن هذا القول المضمر يحمل جملة من التأويلات من قبيل ذلك ؛الحسد بسبب النجاح والتفوق أو بينهم عداوة مسبقة، أو عامل نفسي ،وغيره من التأويلات التي يذهب إليها السامع ،فقائمة

التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التي ينجز ضمنها الخطاب.

ونخلص من خلال ما تقدّم أن متضمنات القول هي أعم من الافتراضات والاستلزام الحواري، لأن كليهما متضمناً لقول ضمني حتى تحكمها الظروف المتعلقة بالخطاب وسياقاته.

سؤال / هل متضمنات القول في الأمثال متغيرة أم ثابتة؟ إذا كانت الإجابة بـ (متغيرة)، فكيف استمر المثل لسنوات مع حمله لنفس متضمن القول؟

ولهذا فإن الأمثال تحمل متضمنات ثابتة ــ في المواقف المتشابهة على مر الزمان، ويضرب المثل على الرغم من تغيير الزمان والظروف والأشخاص .

وتأسيسا على ذلك ،فإن تحليل الأمثال العربية تداوليا يقتضي الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المتضمن من بيان القرائن والآليات التي تتيح هذا الانتقال، وهو ما سيطبق في المبحث الثاني على نماذج مختارة من جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري .

كتاب جمهرة الأمثال :

هو أصل من أصول كتب الأدب، "بما يحمل من أمثال عربية أصيلة، وأخبار عن العرب في جاهليتهم وإسلامهم، وبما اشتمل عليه من لغويات وشواهد من القرآن الكريم، والحديث الشريف، وكلام العرب الأوائل شعراً ونثراً، ثم هو أطول كتب الأمثال نفساً، وأوفاها شرحاً" (العسكري، 2005: 9)، وقد ضم الكتاب آلاف الأمثال العربية، ويعرضها عادة وفق ترتيب معين مع ذكر المناسبة أو القصة التي قيل فيها غالباً، ويشرح معنى المثل بأبيات شعرية أو روايات وقصص تؤكد معنى المثل، وقد يذكر المثل دون ذلك ويكتفي بمعنى المثل ــ متضمن القول ــ فقط ،والكلام على منهجية العسكري في كتابه قد يطول ولا يسع المجال ولا موضوع البحث لذكر ذلك.

إذاً ما المثل؟

في اللغة، كما وردت في المعاجم العربية مثل: "الميم والتاء والام أصل صحيح يدُل على المناظرة الشيء للشيء. وهذا مِثْلُ هذا، أي نظيره ... والمثل المضروب مأخوذ من هذا لأنه يُذكر موضحاً به ما مثله في المعنى" (ابن فارس، 1999: م5، 296). والمِثْل بمعنى البصيرة ... والمَثل: ما جعل مثالاً، أي مقداراً لغيره يُحذى عليه ... والمثل: مأخوذ من المثال والحذو، والصفة تحليّة ونعتٌ (ابن منظور، 2005: ط4‘م13، مادة م ث ل).

و "المثل: جملة من القول مقتطعة من كلام، أو مرسلة بذاتها، تنقل مما وردت فيه إلى مشابهه بدون تغيير ... وجمعها أمثال " (مجمع اللغة، 2004: 854، مادة م ث ل).

فكلام المعاجم واضح، ويمكن أن نجمل كلامهم، بأن كلمة مَثَل تدل على المناظرة، وهدفها العبرة والاستفادة، وأن المثل جملة مقتطعة من كلام.

المثل في الاصطلاح:

وقد عرّفه القاسم بن سلام بقوله: "هو حكمة العرب في الجاهلية والإسلام وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بها ما حاولت من حاجاتها في المنطق، بكناية غير تصريح، فيجتمع لها بذلك ثلاثة خلال: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحسن التشبيه " (ابن سلام، 1980: 5)،ويعرفه ابن السكيت بقول: "هو لفظ يخالف المضروب له، ويوافق معنى ذلك اللفظ " (ابن السكيت،2002: 288).

ويرى أبو عبيد ابن سلام، أن الأمثال تمثل خلاصة الحكمة والتجربة التي اكتسبها العرب عبر حياتهم في الجاهلية والإسلام، فهي ليست مجرد عبارات متداولة، بل هي نتاج مواقف وتجارب طوّيلة صاغها العرب من ألفاظ موجزة وبليغة ،متضمنة العديد من الدلالات، ولذلك أصبحت الأمثال وسيلة نقل الخبرات والقيم والأخلاق، والاستشهاد بها في المواقف المتشابهة.

ويقصد بكلمة (حكمة العرب) مجموع ما توصل إليه العرب من آراء صائبة وتجارب نافعة. (ابن سلام ، 1980: 6) كما أن الأمثال لا تقتصر على عصر معين، بل استمرت عبر العصور، فاحتفظت بما يناسبها من قيم وخبرات.

لكن للجرجاني رأي آخر في تعريف الحكمة؛ قال: "الحكمة علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود... وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: الحكمة من الكلام المعقول مصون عن الحشو" (الجرجاني، 2007: ط1، 87،88).

يقودنا هذا القول إلى التفرقة بين الحكمة والمثل، فالحكمة أعم وأشمل من المثل، فالمثل قائم على التشبيه، والحكمة أساسها إصابة المعنى وأسلوبها قد يطول، بينما المثل أسلوبه في الغالب الاختصار والإيجاز ؛أما الغاية من المثل الاحتجاج والعبرة، وأيضاً بينهما الغاية من الحكم النصح والإرشاد والتنبيه.

استخدام لفظة (ضرب) في الأمثال :

لماذا التعبير بالفعل (ضرب) دون غيره من الأفعال؟

لأن الفعل (ضرب) في العربية له معنى أوسع من مجرد الإيقاع باليد ومن معانيه: الإلقاء، والإبراز، والبيان، والإقامة. (ابن منظور، 2005: ط4، مادة ض ر ب)

ولذلك يقال: (ضرب المثل)، أي أظهره وأبرزه للناس ليقاس عليه، ويُعتبر، ولأن العرب كانت تستعمل (ضرب) بمعنى جعل وأقام، كما في قولهم: ضرب الخيمة أي أقامها وضرب النقود أي صكّها وأوجدها. (ابن فارس ، 1999: م2/ 398- 399)

فقولهم (ضرب مثلاً) معناه: أورد مثلاً، أو ساقه، أو بيّنه وأبرزه.

ولهذا لم يُختر الفعل (ضرب) اعتباطاً، بل لأنه في الاستعمال العربي يحمل دلالة قوية على إبراز المثل وتثبيته في الأذهان وهي دلالة لا تؤديها أفعال مثل: قال، أو جاء، أو قصّ أو حكى بنفس القوة والبلاغة.

وتدليلًا على ما سبق بأن الأمثال يُأتي بها لمضامين معينة كقول الله تعالى {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (24) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (سورة إبراهيم: 24 - 25).

فيتضمن القول في هذه الآيات، أن الله يضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأذهان، حتى يتفكر الناس ويتعظوا، ففي هذا المثل شبّه الكلمة الطيبة (وأعظمها كلمة التوحيد) بشجرة طيبة ثابتة الجذور، عالية الفروع والأغصان، كثيرة النفع بثمارها، فمضمون القول إن الإيمان الصادق. ثابتا في القلوب، راسخا في العقول، مستقرا في اللسان، وتظهر آثاره في الأقوال والأفعال النافعة، وليس المقصود من المعنى الحرفي للآية وهو وصف الشجرة كما هي في الطبيعة .

" والأمثال تصوِّر المعاني تصور الأشخاص، فإن الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس ... وفي ضرب الأمثال من تقرير المقصود ما لا يخفى إذ الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجليّ ... " (الزركشي :ج573/1)

وضربُ الأمثال من الله لعباده كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} (سورة العنكبوت: 43)، وقوله تعالى: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} (سورة

الزمر:27) وقد اختلف العلماء في عدد الأمثال في القرآن الكريم (الزركشي : ج1/ 573).

فالأمثال في القرآن الكريم هي أبلغ وسيلة من وسائل التعليم والهداية، فهي تنقل المعاني العميقة؛ إلى صور محسوسة يسهل تصورها وتذكرها.

وقد بيَّن القرآن هذا المقصد في كثير من المواضع، فالأمثال ليست مجرد أسلوب بلاغي أو استعراض صور واستعارات، بل هي وسيلة تعليمية وتربوية تهدف إلى أن يفهم الإنسان الحقائق

ويتذكرها، ويعمل بها.

المبحث الثاني / تحليل بعض الأمثال تحليلا تداوليا:

أتاح جمهرة الأمثال مادة مناسبة لهذا النوع من التحليل؛ إذ يورد العسكري عددا من الأمثال مقرونة بقصصها أو مناسباتها وشروحها ، في حين يورد بعضها الآخر في صورة موجزة مع بيان معناه أو موضع استعماله، روعي في تحليل النماذج توحيد المسار التحليلي قدر الإمكان، وذلك من خلال الوقوف على سياق المثل ، ومعناه الصريح ،ومتضمن القول فيه، ثم الوظيفة التداولية التي يؤديها، وبذلك يصبح التحليل قائما على الانتقال من النص المثلي إلى سياقه، ومن السياق إلى المقصد، ومن المقصد إلى المعنى الضمني الذي يستنتجه المتلقي.

المثال الأول: "على أهلها دلت براقشُ"

سياق المثل/ براقش: اسم كلبة نبحت جيشاً كانوا يقصدوا أهلها، فخفي عليهم مكانهم، فلما نبحت عرفوهم، فصطوا عليهم فاجتاحوهم، فقال العرب: "أشأم من براقش" (العسكري، 2005: ج46/2)

المعنى الصريح: يفيد ظاهر القول أن براقش كانت سبباً في جناية أو كارثة وقعت على أهلها.

متضمن القول:

لا يقصد المثل الحديث عن براقش بوصفها كائن بعينه، وإنما يدفع المتلقي إلى استنتاج أن الإنسان قد يكون سبباً في هلاك نفسه وأهله أو جماعته، وأن من يصنع

سبب الضرر يتحمل تبعاته، "ويُضرب مثلاً للرجل يرجى إصلاحه بإفساد". (العسكري، 2005: ج46/2)

آلية بناء متضمن القول:

لم يصرح الملفوظ بـ (نص المثل أو سياقه) - بهذه النتيجة، وإنما تركها ليستنتجها السامع من العلاقة بين السبب والنتيجة داخل المثل فالإيجاز وحذف تفاصيل القصة يجعلان الملفوظ تتجاوز معناه الحرفي إلى دلالة عامة قابلة للتطبيق على مواقف متعددة.

القيمة الدلالية:

يستعمل المثل لتوبيخ المخاطَب أو تحميله مسؤولية ما آل إليه الأمر، دون توجيه اتهام مباشر.

المثل الثاني: "يداك أوكتا وفوك نفخ"

سياق المثل: قيل " أن رجلاً أراد أن يُعِبَر نهراً على سقاء، فلم ينفخها ولم يؤكها على ما ينبغي، فلما توسط النهر انحلّ وكاؤها، فصاح، الغرق، فقيل له: "يداك أوكتا وفوك نفخ"، أي أنك من قبل نفسك أُتيت". (العسكري : ج2/ 330)

- **المعنى الصريح:**

يفيد ظاهر المثل أن المخاطب هو الذي أوكأ القربة وربطها وهو الذي نفخ فيها.

- **متضمن القول:**

يستنتج المخاطب أن المتكلم يحمّله مسؤولية النتيجة التي انتهى إليها الأمر، وأنه لا يملك تبريراً لإلقاء اللوم على غيره.

-آلية بناء متضمن القول:

لم يرد في المثل ،لفظ أنت ، مسؤول عن خطئك، وإنما تُرِكَ هذا الحكم ليستنتجه المخاطب من تركيب الملفوظ نفسه وهو ما يجعل المسؤولية متضمناً للقول لا معنى مصرحاً به.

- **القيمة الدلالية :**

يقوم المثل بوظيفة الإقناع والالزام الاخلاقي، إذ يدفع المخاطب إلى الإقرار بمسؤوليته، وكما لخص العسكري مضمون القول: بقوله "يقال ذلك لمن يُوقع نفسه في مكروه" (العسكري: ج 2/ 330)

المثل الثالث / قول العرب: "رمتني بدائها وانسلّتْ"

- **سياق المثل:** «أن رُهْمَ ابنة الخَزْرَجِ بن تيم الله بن رفيدة – كان لها جمال وتزوجت سعد بـن مالك بن زيد مناة على ضرّ، فكانت ضرائرها يرمينها بالعفل (ابن منظور: مادة ع ف ل)، فقالت لها أمها: إذا سابنك فابدئيهن بها، ففعلت، فقيل لها ذلك (العسكري : ج1 / 140).

- **المعنى الحرفي للمثل أو المعنى الصريح:**

يفيد ظاهر الملفوظ أن شخصاً رمى آخر بدائه (مرض أو عيب) ثم انصرف مسرعاً دون أن يبقى في الموقف.

فالملفوظ يحتمل حدثيين: ـ حدث الرمي بالداء.

ـ وحدث الانسلال بعد ذلك.

- **متضمن القول:**

لا يريد المتكلم أن يصف واقعة الرمي فحسب وإنما يقود المخاطب إلى استنتاج أن المتهم هو في الحقيقة صاحب عيب ما وأن الجاني يحاول التنصل من مسؤوليته بإلصاقها بغيره، وأن الاتهام نفسه وسيلة لإخفاء الحقيقة، ومن يوجه الاتهام قد يكون أولى الناس بها، وكل هذه المعاني لا يصرح بها الملفوظ أو المعنى الصريح، وإنما يستنتجها المتلقي.

- **آليات بناء متضمن القول:**

يتولد متضمن القول من عدة عناصر:

1- الإيجاز: إذ اختزل المثل قصة كاملة في جملة قصيرة وهذا ليس بغريب، بل ينطبق هذا الحكم على كل الأمثال.

2- الاستعارة: فالداء لا يريد به المرض الحقيقي فقط، بل كل عيب أو ذنب أو صفة مذمومة.

3- الفعل (أنسل) الذي لا يدل على مجرد الانصراف، بل يوحي بالهرب والتخفي بعد ارتكاب فعل مذموم، والانسلال الهروب في خفية.

4- ترتيب الأحداث أو الأفعال: إذ يأتي الاتهام أو إتمام الفرار فينشأ ارتباطاً ذهني بينهما، وينتبه المتلقي أو المخاطب أن القرار هو قرينة على الشعور بالذنب، لكنه أحياناً يكون للهروب لضعف في نفسه وليس لذنب ارتكبه، وهذا معنى ضمني من الدلالات المخفية. والوظيفة التداولية بحسب المقام هو قلب الحجة على الخصم ودحض الاتهام.

المثل الرابع: "زرْ غباً تزدَدْ حُبّاً"

لم يذكر لنا العسكري قصة المثل، ولا المضمون المقول له، بل اكتفى بذكر الشواهد الشعرية، وشرح كلمة الغبّ معجمياً فقط ،والمثل من الأقوال العربية المأثورة، ولهذا السبب نجد العسكري لم يرد أصل المثل ولم يذكر قصته وسياقه ،وأكتفى بذكر أنه من ضمن الأمثال التي نقلت عن النبي صلى الله عليه وسلم (العسكري: 1، 427).

سياق المثل: لا ينسب هذا المثل على وجه القطع إلى شخص معين، وإن كان بعض أهل الأدب يوردونه ضمن الحكم العربية القديمة، وقد استعملت للتعبير عن حكمة اجتماعية.

المعنى الحرفي:

إذا جعلت زياراتك متباعدة غير متكررة ازداد الناس محبة لك، فتباعد الزيارات أدعى إلى تجدد الشوق واستمرار المودة، بخلاف كثرة الزيارة التي قد تفضي إلى الملل أو التكلف.

متضمن القول:

لا يدعو القول إلى القطيعة من التواصل أو إلى الجفاء، وإنما يتضمن العديد من الأفكار والدلالات، وهو الاعتدال في الزيارة والتواصل واحترام خصوصية

الآخرين وأوقاتهم، وتجديد الشوق والمودة، كما أن كثرة المخالطة قد تظهر العيوب أو تورث الكره بينما التوازن يحفظ المودة والاحترام.

القيمة التداولية للمثل:

يدعو هذا المثل إلى الحكمة في إدارة العلاقات الإنسانية ويؤكد أن المودة لا تقاس بكثرة اللقاءات.

المثل الخامس: "قولهم جَدُّكَ لا كدك "

قال العسكري: "الجدُّ: قَسْم الله تعالى العبد حظّه من الدنيا، فمن قُسم له شيئاً ناله، ومن لم يُقيم له حُرمه، وإن اجتهد في طلبه " (العسكري: 1، 256)

- المعنى الحرفي والصريح للمثل:

« إن كان لك جدّ فزّت بما تطلب وإن لم يكن لك لم ينفعك الكدّ » (العسكري: 1، 256)

- المعنى المتضمّن للقول:

المثل لا يدعو إلى ترك العمل أو التواكل، بل يتضمّن دلالتين هما:

الجهد سبب الكدّ ، وهو مطلوب عقلاً وشرعاً ولا يمكن تحقيق المطالب إلا بالعمل والجهد الكبيرين.

التوفيق والحظ: من الله بأن يبارك عملك وجهدك وتنال الفوز.

ولهذا قد يتساوى الناس في الجهد، ولكن يختلفون في النتائج فتمام الثمرة مرتبط بما قدّر للإنسان من نصيب وحظ.

ومن مضمون القول أيضاً عندما ينجح شخص نجاحاً يفوق ما بذل من جهد ظاهر، أو قد يكون متضمن القول، لتذكير المرء بألا يغترّ بعمله وينسب الفضل كله إلى نفسه.

- القيمة الدلالية للِمثل:

النجاح والرزق ثمرة اجتماع السبب (الكدّ والعمل) مع التوفيق والقدر (الجدّ والنصيب) خلا وعيّ الإنسان عن جهده وحده ولا يتدارك الجهد وحده دون الحظّ،

كما يدعو المثل إلى التواضع والإيمان بأن الأخذ بالأسباب واجب وأن التوفيق بيد الله تعالى؛ ويحسن التوكّل لا التواكل.

أما آليات متضمن القول تكاد أغلب الأمثال تعتمد على نفس الآليات التي ذكرناها (ينظر البحث: 14)

المثل السادس / "قولهم: رُبّ عجَلةٍ تهَبُ ريثاً"

- سياق المثل:

يقول العسكري أن ((المثل لمالك بن عمرو بن عوف بن محلَّم، وذاك أن أخاه ليث بن عمرو تزوج خُماعة بنت فلان فتحمّل للنّجعِة بها، فنهاه مالك وقال: إني أخاف عليك بعض مقانب العرب أن يصيبك، فأبى وسار بأهله وماله، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء وقد أُخِذَ أهله وماله، فقال مالك: "رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثاً، وَرُبَّ فَرْوَةٍ تُفْزَعُ لَيْثاً" (العسكري: 1، 407).

التزم العسكري في هذا المثل منهجية تداولية في عرضه للمثل فجاء بمضمون القول عند قوله: "ويضرب مثلاً للرجل تشتد حرصه على الحاجة، فيخرق فيها، ويفارق التؤدة في التماسها، فتفوته وتسبقه " (العسكري 1،406).

أما **المعنى الحرفي** للمثل فيقول: "وأصله في الرجل يُغذُّ السير و يواصله حتى يعطب ظهره فيقعد عن حاجته، والريثُ: الإبطاء... والعامة تقول في معنى هذا المثل ،تمشي وتدوم خيرٌ من أن تغدو ولا تقوم" (العسكري: 1،407).

القيم الدلالية للمثل:

المثل يقوم على مفارقة لفظية متضادة بين العجلة والريث فالعجلة تعني الإسراع وعدم التمهل، بينما الريث يعني التمهل والتأني والبطء؛ والمقصود أن الاستعجال في بعض الأمور قد يؤدي إلى عكس الغاية منه، فيكون سبباً في التأخير بدل التعجيل.

فالإنسان حين يستعجل في اتخاذ قرار أو إنجاز عمل قد لا يحسن تقدير الموقف، فيقع في الخطأ، ثم يضطر إلى إصلاح ما أفسده، فيستهلك وقتاً أطول مما لو تأنّى منذ البداية.

والمعنى المتضمن للقول:

لا يدعو المثل إلى البطء إطلاقاً، وإنما يميز السرعة المحمودة والتسرع المذموم، فالسرعة تكون محمودة عندما تكون مبنية على معرفة وحسن تقدير، أما العجلة التي تسبق التفكير فقد تنقلب على صاحبها. وفي المثل مضامين أخرى وهو ترسيخ مبدأ التأني وحساب العواقب، وهو تصوير العلاقة بين السبب والنتيجة.

المثل السابع: "أحمقُ من هَبَنَّقَة"

سياق المثل: "هَبَنَّقَة هو يزيد بن ثروان أحد بني قيس بن ثعلبة، ومن حمقه أنه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف، وقال: أخشى أن أضلَّ نفسي ففعلت ذلك لأعرفها به، فحوّلت القلادة من عنقه إلى عنق أخيه، فلما أصلح قال: "يا أخي أنت أنا وأنا أنت" (العسكري:223،1).

لم يذكر العسكري في هذا المثل سواء قصص وأفعال قاموا بها بعض الشخصيات من مواقف معينة لتدل على السذاجة والعفوية وعدم التفطن والذكاء، لكن لم يورد معنى المثل الضمني، وما يحمله من دلالات ضمنية الذي جعل من المثل يعيش لزمن طويل، ربما لم تبرد المعاني الضمنية لشهرة المثل بين الناس، وإن دلالة الألفاظ واضحة ولا تستلزم تأويل أو البحث عن متضمن القول.

فالمعنى الظاهر أو الحرفي للمثل:

ظاهرياً: هو تفضيل شخص في الحق على شخص آخر، وجعل هبنقة نموذجاً للحمق الشديد.

أما المعنى الضمني أو (**متضمّن القول**):

لا يُراد بالمثل مجرد وصف شخص بأنه أحمق، بل المبالغة في ذم غبائه وسوء تدبيره، حتى يصبح هبنقة وغيره مقياساً يقاس به (الحمق)، بسبب ما نُسب إليه من نوادر وتصرفات تدل على ضعف العقل وسوء التقدير، كما يحث المثل على استعمال العقل وحسن التصرف ويحذر من السذاجة والتصرفات التي تخالف عقل البشرية والمنطق، وهنا نجد أن القول أوسع دلالة من ألفاظه، فالكلمات قليلة والمعنى الذي تستدعيه ثقافياً كبير.

أما القيمة الدلالية لمتضمن القول:

مقصود القول أن تصرفك غير منطقي إلى درجة تستحق معها أن تشبه بأشهر نموذج للحمق، وقد يكون المثل في بعض السياقات ساخراً أو تهكمياً، خصوصاً إذا كان الخطأ بسيطاً.

وعليه فقد كشفت المقاربة التداولية أن الأمثال العربية ، على الرغم من ايجازها ، فإنها تمثل خطابات ذات كثافة تداولية تختزل تجارب ومواقف اجتماعية وانسانية في تراكيب قصيرة ، ثم نعيد توظيفها في سياقات جديدة ، الأمر الذي يجعل دراسة متضمناتها القولية مدخلا للكشف عن جانب من ثراء الخطاب العربي القديم وقدرته على أداء وظائف تواصلية متعددة.

(خاتمة ونتائج)

فقد تناولت في هذه الوريقات الأمثال العربية في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري، ليس بوصفها تراثاً لغوياً جامداً، بل بوصفها أدوات تواصلية تحمل ضمن سياقات تداولية محدودة، وما محاولتي هذه إلا اظهارا لما للخطاب العربي، ـ وخاصة النثري ـ من عمق في المعاني والدلالات ، فأغلب النظريات اللسانية الحديثة قائمة على تحليل النص اللغوي بشتى الطرائق ومختلف الاتجاهات والمدارس وذلك لفهم قصد المتكلم ومعرفة مضامينه ،والأمثال العربية هي جزء لا يتجزأ من الخطابات التي تستحق الدراسة وتحليلها تحليلاً تداولياً.

فقد خلص البحث إلى جملة من النتائج التالية:

1- أثبتت في هذا البحث أن الأمثال العربية ليست حكماً مطلقاً، بل تستعمل لتحقيق أغراض تواصلية متنوعة ومتغيرة حسب السياق وفق معلومات معرفية تجمع المرسل والمرسل إليه.

2- قدرة المثل على تحويل الخطاب إلى مادة منطقية قادرة على إقناع المتلقي.

3- السياق هو المفتاح لفهم الدلالات، لأن المثل يتضمن احتمالات وتأويلات عديدة.

4- تعد الأمثال من أقوى أدوات التضمين، فغالباً ما يحمل المثل رسالةً أعمق من المعنى الظاهري المباشر ويتطلب فهمه وتفسيره فهماً جيداً للسياق الثقافي

المشترك بين المتكلم والمتلقي، وهذا يجعلها أدوات فعالة للتلميح والنقد غير المباشر.

5- كما يعد الاستلزام الحواري والافتراض المسبق ضمن متضمنات القول، لأن كليهما يحملان تأويلات دلالية متعددة أثناء فهمها عند المتلقي.

6- من خصائص الأمثال: إيجاز اللفظ وإصابة المعنى، وهذا ما يجعل المثل قادراً على تحقيق الانتشار والذيوع والاستمرار.

7- قدرة المثل على اختزال الموقف بعبارة رشيقة موجزة.

8- يولد المثل في بيئة اجتماعية خاصة يعبّر عن حياة الانسان بمختلف جوانبه .

9- اشتمال الكثير من الأمثال للحث على القيم والمبادئ المفيدة للمجتمع.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية الإمام قالون عن نافع المدني.

1- ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق‘(2002): **اصلاح المنطق،** تحقيق محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، لبنان.

2- ابن سلام، أبو عبيد القاسم،(1980م)**: الأمثال،** تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، ط1، بيروت .

3- ابن فارس، أبو الحسن أحمد،(1999م): **معجم مقاييس اللغة،** تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

4- ابن منظور، أبو الفضل عبدالله بن محمد،(2005م): **لسان العرب** ،دار صادر، بيروت، ط4، طبعة جديدة محققة.

5- الجرجاني، علي بن محمد ،(2007م) **: كتاب التعريفات** ،تحقيق عادل أنور خضر، دار المعارف ط1، بيروت، لبنان.

6- جان سيرفوني،(1998م)، **الملفوظية،** ترجمة الدكتور قاسم المقدار، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا.

7- جيليان براون، وجورج بول (1997)**:تحليل الخطاب،** ترجمة، محمد الزليطي ومنير التريكي جامعة الملك سعود، السعودية.

8- جورج بول،(2010): **التداولية،** ترجمة، قصي العتابي، دار الأمان،ط1،الرباط، المغرب.

9- الزركشي، بدرالدين محمد بن عبد الله ،**البرهان في علوم القرآن**، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا دار القلم، بيروت، لبنان.

10- صحراوي، مسعود،(2005م):**التداولية عند علماء العربية**، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، ط1، بيروت، لبنان .

11- طه عبد الرحمن،(1998م):**اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب.

12- العسكري، أبو هلال،(2005م):**كتاب جمهرة الأمثال**، تحقيق، محمد أبو الفضل، وعبد المجيد قطايش، المكتب العصرية، صيدا، بيروت .

13- عشير، عبد السلام،(2006م): **عندما نتواصل نغير**، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب .

14- مجمع اللغة العربية (2004م)، **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية.

15- المصري، مصطفى شعبان،(2022م): **نظرية أفعال الكلام المفاهيم والمبادئ والعلاقات**، دار الكتب والوثائق القومية، الناشر المكتب الجامعي الحديث.